

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ
فَیَسْخَرُونَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ وَأَذَنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝۳ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَفَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۚ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْصُرُواهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝۵ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝۶

● مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

البراءة من المشركين والمنافقين وجهادهم، وفتح باب التوبة للتائبين.

● التَّشْيِيرُ:

① هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهد التي عاهدتم -أيها المسلمون- عليها المشركين في جزيرة العرب.

② **فسيروا** - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر آمين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم **لن تفلتوا من عذاب الله** وعقابه إن استمررتكم على كفركم به، وأيقنوا أن الله **مُذِل** الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، ويدخل النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يُتَم له عهده إلى مدته.

③ **وإعلام من الله، وإعلام من رسوله** إلى جميع الناس يوم **النحر** أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم -أيها المشركون- من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم **لن تقوتوا الله**، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر -أيها الرسول- الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجه ينتظرهم.

④ إلا الذين عاهدتم من المشركين، ووفوا بعهدكم، ولم ينقصوا منه شيئاً، فهم **مُسْتَكْتَبُونَ** من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تنقضي مدته، إن الله يحب المتقين بامتثال أوامره ومنها الوفاء بالعهد، وباجتناب نواهيها والخيانة.

⑤ **فإذا انتهت الأشهر الحرم التي أمَّنتُم فيها أعداءكم** فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وأسروهم، وحاصروهم في معاقلهم، **وترصدوا لهم طرقهم**، فإن تابوا إلى الله من الشرك، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم؛ فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام؛ فاتركوا قتالهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به.

⑥ وإن دخل أحد من المشركين - مباح الدم والمال - **وطلب جوارك** - أيها الرسول - فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا.

● مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السلم والأمن والتفاهم.
- الإسلام يُقَدِّرُ العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نابعاً من الإيمان، وملازماً لتقوى الله تعالى. ● أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدِّمَّ والمال، ويوجبان لمن يؤدِّيهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام؛ كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزَّانِي المُحْصَن، والردة إلى الكفر بعد الإيمان. ● مشروعية الأمان؛ أي: جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين؛ ليسمع ما يدل على صحَّة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إثبات السلم.

﴿٧﴾ لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم - أيها المسلمون - عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿٨﴾ كيف يكون لهم عهد وأمان وهم أعداؤكم، وإن يظفروا بكم لا يراعوا فيكم الله ولا قرابة، ولا عهداً، بل يسومونكم سوء العذاب! يرضونكم بالكلام الحسن الذي تنطق به ألسنتهم، لكن قلوبهم لا تطوع ألسنتهم، فلا يؤمن بما يقولون، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد.

﴿٩﴾ اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهود ثمناً حقيقياً من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون.

﴿١٠﴾ لا يراعون الله ولا قرابة ولا عهداً في مؤمن؛ لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله؛ لما يتصفون به من الظلم والعدوان. ﴿١١﴾ فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم - فقد صاروا مسلمين، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَكَثُرُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكَفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿١٨٨﴾

وأموالهم وأعراضهم، ونبيين الآيات ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين ينتفعون بها، وينفعون بها غيرهم. ﴿١٢﴾ وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهودهم ومواثيقهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أئمة الكفر وقادته، ولا عهود لهم، ولا مواثيق تحقق دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهود وانتقاصهم للدين.

﴿١٣﴾ لم لا تقاتلون - أيها المؤمنون - قوماً نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة، وهم بدوؤكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بكرًا حلفاء قريش على حُرّاعة حلفاء الرسول ﷺ، أتخافون ملاقاتهم في الحرب؟! فالله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقًا.

﴿١٨٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دلت الآيات على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لأسباب كثيرة، أهمها: نقضهم العهد.
- في الآيات دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يُقاتل حتى يؤديهما، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه.
- استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ على وجوب قتل كل من طعن في الدين عامداً مستهزئاً به.
- في الآيات دلالة على أن المؤمن الذي يخشى الله وحده يجب أن يكون أشجع الناس وأجرأهم على القتال.

﴿١٤﴾ قَاتِلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَذَلِكَ بِقِتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ، **وَيَذَلُّهُمْ بِالْهَزِيمَةِ وَالْأَسْرِ**، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ بِجَعْلِ الْغَلْبَةِ لَكُمْ، وَيَبْرَأُ دَاءَ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الْقِتَالَ بِمَا حَصَلَ لَعْدُوهُمْ مِنَ الْقِتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْهَزِيمَةِ وَنَصَرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ.

﴿١٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْفَيْضَ عَنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ. وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ إِنْ تَابُوا كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِصَدَقِ التَّائِبِ مِنْهُمْ، حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ.

﴿١٦﴾ **أَفَلَنْ تَتَمَنَّوْا أَنْ يُكْفَرَ إِتِّمَاءُكُمْ لِلَّهِ دُونَ ابْتِلَاءِهِ؟** فَلَا بَتْلَاءَ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهِ، سَتُبْتَلُونَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلْعِبَادِ الْمَجَاهِدِينَ مِنْكُمْ بِإِخْلَاصِ لَكُمْ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ **بَطْلَانَةً مِنَ الْكُفَّارِ يُوَالُّونَهُمْ**، وَأَصْفِيَاءَ مِنْهُمْ يُوَادُّونَهُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٧﴾ مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ، وَهُمْ مُقِرُّونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ بِمَا يَظْهَرُونَهُ مِنْهُ، أُولَئِكَ **بَطَلَتْ** أَعْمَالُهُمْ لِقُدْرَةِ شَرْطِ قَبُولِهَا الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا إِنْ تَابُوا مِنْ الشِّرْكِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ وَيَقُومُ بِحَقِّهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ، وَلَمْ يَخَفْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرْجَى أَنْ يَكُونُوا مَهْتَدِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿١٩﴾ **أَجَعَلْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - الْقَائِمِينَ عَلَى سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِثْلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أَجَعَلْتُمُوهُمْ سَوَاءً فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟** لَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الظَّالِمِينَ بِالشِّرْكِ، وَلَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ خَيْرِ كَسَقَايَةِ الْحَاجِّ.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْهَجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَعْظَمَ رَتْبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الظَّافِرُونَ بِالْجَنَّةِ.

● **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

● فِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتِنَائِهِ بِأَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ شِفَاءَ مَا فِي صُدُورِهِمْ وَذَهَابَ غِيظِهِمْ. ● شَرَعَ اللَّهُ الْجِهَادَ لِيَحْصَلَ بِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَيَّزَ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ لَا يَتَحَيَّزُونَ إِلَّا لِدِينِ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ. ● عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ الْحَقِيقِيِّينَ هُمُ مَنْ وَصِفُوا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَبِالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَمَّاها الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَبِخَشْيَةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ. ● الْجِهَادُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلَ الدِّينِ، وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿٢١﴾ يخبرهم الله ربهم بما يسره من رحمته، ومن إحلال رضوانه عليهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ويدخل جنات لهم فيها نعيم دائم لا ينقطع أبداً.

﴿٢٢﴾ **ماكثين** في تلك الجنان مكثاً لا نهاية له، ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا، إن الله عنده ثواب عظيم لمن امتثل أوامره، واجتنب نواهيه مخلصاً له الدين.

﴿٢٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاء به رسوله، لا تصيروا آباءكم وإخوانكم في النسب وغيرهم من قرابتكم **أصفياء** توالونهم بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، والنشاور معهم؛ إن أثروا الكفر على الإيمان بالله وحده، ومن يصيبرهم أولياء مع بقائهم على الكفر ويظهر لهم المودة فقد عصى الله، وظلم نفسه بإيرادها موارد الهلاك بسبب المعصية.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول -: إن كان أبواؤكم - أيها المؤمنون - وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم **وأقرباؤكم**، وأموالكم التي **اكتسبتموها**، وتجارعتكم التي تحبون رواجها، وتخافون كسادها، وبيوتكم التي ترضون المقام فيها - إن كان كل أولئك أحب إليكم من الله ورسوله، ومن الجهاد في سبيله **فانتظروا** ما ينزله الله بكم من العقاب والنكال، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته للعمل بما يرضيه.

﴿٢٥﴾ لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - على عدوكم من المشركين في **غزوات** كثيرة على قلة عددكم وضعف عدتكم حين توكلتم

على الله وأخذتم بالأسباب، ولم تُعجبوا بكثرتم، فلم تكن الكثرة سبب نصركم عليهم، ونصركم يوم حنين حين أعجبتكم كثرتم، فقلتم: لن نُغلب اليوم من قلة، فلم تنفعكم كثرتم التي أعجبتكم شيئاً، فتغلب عليكم عدوكم، وضاعت عليكم الأرض **على سعتها**، ثم وليتم عن أعدائكم **فارين منهزمين**.

﴿٢٦﴾ ثم بعد فراركم من عدوكم أنزل الله **الطمأنينة** على رسوله، وأنزلها على المؤمنين، فثبتوا للقتال، وأنزل ملائكة لم تروههم، وعذب الذين كفروا بما حصل لهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسبي الذراري، وذلك الجزاء الذي جوزي به هؤلاء هو جزاء الكافرين المكذبين لرسولهم المعارضين عما جاء به.

﴿٢٧﴾ **من قوايد الآيات:**

- مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين يبشرهم ربهم بالنعيم.
- في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إيثار الحطوط العاجلة على الامتنال.
- فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف.

﴿٢٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي -ومن ضمنه المسجد الحرام- ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتم -أيها المؤمنون- فقراً بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يديره لكم.

﴿٢٩﴾ قاتلوا -أيها المؤمنون- الكافرين الذين لا يؤمنون بالله إلهاً لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا وغيرها، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم **أذلاء مهقورين**.

﴿٣٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عزيراً ابن الله، والنصارى أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابن الله، ذلك القول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم **يشابهون** في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكهم الله، كيف يُصَرِّفون عن الحق البين إلى الباطل؟!

﴿٣١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم: أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويجرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى وما أمر عزيراً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم: أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويجرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى وما أمر عزيراً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

- في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.
- في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.
- الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.
- في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتتفصوا من عظمتة سبحانه.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَسْخَرُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِجَهَمُ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَوُظُّهُرُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

١٩٢

﴿٣٢﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم
ممن هم على ملة من ملل الكفر
بافتراءاتهم هذه وتكذيبهم بما جاء
به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام
ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من
الحجج الواضحة والبراهين الجلية
على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله
حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن يكمل دينه
ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره
الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه
فإن الله ﷻ مُمْتَهُ وَمُظْهِرُهُ وَمُعْلِيهِ، وإذا
أراد الله أمراً بطلت إرادة غيره.

﴿٣٣﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل
رسوله محمدًا ﷺ بالقرآن الذي
هو هدى للناس، وبدين الحق الذي
هو دين الإسلام لِيُعْلِيَهُ بما فيه من
الحجج والبراهين والأحكام على غيره
من الأديان، ولو كره المشركون ذلك.
﴿٣٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، وعملوا
بما شرعه الله لهم، إن كثيراً من
علماء اليهود، وكثيراً من عبّاد
النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير
حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة
وغيرها، وهم يمنعون الناس من
الدخول في دين الله. والذين يجمعون
الذهب والفضة، ولا يؤدّون ما يجب
عليهم من زكاتها، فأخبرهم - أيها
الرسول - بما يسوؤهم يوم القيامة
من عذاب موجه.

﴿٣٥﴾ يوم القيامة يوقد على ما
جمعوه ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا
اشتدت حرارتها وُضِعَتْ على جباههم
وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، ويقال
لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي
أموالكم التي جمعتموها ولم تؤدّوا
الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال ما

كنتم تجمعونه ولا تؤدّون حقوقه، وعاقبة ذلك.

﴿٣٦﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً، فيما أثبتته الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض،
من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة أشهر حُرِّمَ الله فيهن القتال، وهي ثلاثة سرد: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، وواحد فرد،
وهو (رجب). ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرِّمَ
أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقتلوا المشركين جميعاً كما أنهم يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه
بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- دين الله ظاهر ومنصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسداً من عند أنفسهم.
- تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- الحرص على تقوى الله في السر والعلن، خصوصاً عند قتال الكفار؛ لأن المؤمن يتقي الله في كل أحواله.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿١٩٣﴾

﴿٣٧﴾ إن التأخير لحرمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم وجعله مكانه - كما كان يفعل العرب في الجاهلية - زيادة في الكفر على كفرهم بالله، حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرُم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سئ لهم هذه السُّنة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور الحل، ويبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، حسن لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسيء، والله لا يوفق الكافرين المُصْرِينَ على كفرهم.

﴿٣٨﴾ يا أيها الذين آمنوا ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعِيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم **تباطأتم**، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟! أرضيتُم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله؟! فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لماعل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟!

﴿٣٩﴾ إن لم **تخرجوا** - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويستبدل بكم قومًا مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبيه من دونكم.

﴿٤٠﴾ إن لم تنصروا - أيها المؤمنون - رسول الله ﷺ، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجه المشركون هو وأبا بكر ﷺ، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفيين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله **الطمأنينة** على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، **وصير** كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

﴿٤١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظُن أنها عادات حسنة.
- عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.
- فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.
- أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

﴿٤١﴾ **سيروا** - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.

﴿٤٢﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمة سهلة وسفرًا لا مشقة فيه لاتبعوك - أيها النبي - ولكن بعدت عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطلعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿٤٣﴾ عفا الله عنك - أيها الرسول - اجتهدك في الإذن لهم في التخلف، فلم سمحت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أعدائهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿٤٤﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، وبيوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمتقين من عباده الذين لا يستأذنونك إلا لأعذار تمنعهم من الخروج معك.

﴿٤٥﴾ إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿٤٦﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فنقل عليهم الخروج حتى أثروا القعود في منازلهم.

ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمانهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال: ﴿٤٧﴾ من الخير ألا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخاذل وإلقاء الشبه، ولاسرعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم - أيها المؤمنون - من يستمع إلى ما يروجونه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدسائس والشكوك بين المؤمنين.

﴿٤٨﴾ من قوايد الآيات:

- وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة.
- الأيمان الكاذبة توجب الهلاك.
- وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب التثبت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والتريث.
- من عناية الله بالمؤمنين تشبيطه المنافقين ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بالمؤمنين ولفظًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم.

لَقَدْ أَتَبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ بِرَأْسِي وَلَا تَقْتُلِي الْإِنْفِ الْفِتْنَةَ سَقَطُوا وَإِنْ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصَبِّكَ
حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَ دِينَافَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ
مِنْكُمْ إِنْ تَكُم كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرُسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿١٩٥﴾

﴿٤٨﴾ لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوعوا وصرفوا لك - أيها الرسول - الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد، حتى جاء نصر الله وتأيد لك، وأمر الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

﴿٤٩﴾ ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المأخوذة فيقول: يا رسول الله، أئذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب ذنباً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد وقعوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، وإن جهنم يوم القيامة لمحيطة بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

﴿٥٠﴾ إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهلهم مسرورين بالسلامة.

﴿٥١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وإليه وحده يفوض المؤمنون أمورهم، فهو كافيهم، ونعم الوكيل.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - لهم:

هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة؟ ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله عذاباً من عنده يهلككم أو يعذبكم بأيدينا بقتلكم وأسركم إذا أذن لنا بقتلكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

﴿٥٣﴾ قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها ل كفركم وخروجكم عن طاعة الله.

﴿٥٤﴾ وما منكم من قبل نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتناقلهم إذا صلوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

﴿٥٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.
- التخلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظيمة، وهي معصية لله ومعصية لرسوله.
- في الآيات تعليم للمسلمين ألا يحزنوا لما يصيبهم؛ لئلا يهتوا وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدر الله لهم، ويرجوا رضا ربهم؛ لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه.
- من علامات ضعف الإيمان وقلة التقوى التكاثر في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا ورجاء للثواب.

﴿٥٥﴾ فلا تعجبك - أيها الرسول - أموال المنافقين ولا أولادهم، ولا تستحسنها، فعاقبة أموالهم وأولادهم سيئة، فאלله يجعلها عذاباً عليهم بالكذب والتعجب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿٥٦﴾ ويُقسم المنافقون لكم - أيها المؤمنون - كاذبين: إنهم لمن جملتكم، وهم ليسوا منكم في بوطنهم، وإن أظهرها أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركون من القتل والسبي، فيظهرون الإسلام تقية.

﴿٥٧﴾ لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأً من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفاً في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقاً يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون.

﴿٥٨﴾ ومن المنافقين من يعيبك - أيها الرسول - في قسمة الصدقات عندما لا ينالون منها ما يريدون، فإن أعطيتهم منها ما يطلبون رضوا عنك، وإن لم تعطهم ما يطلبون منها أظهرها التذمر.

﴿٥٩﴾ ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إنا إلى الله وحده راغبون أن يعطينا من فضله، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم من أن يعيبوك.

ولما عابوا رسول الله ﷺ في

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
بِهَافِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَذْخَلًا
لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي
الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنُّ قُلٍّ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يَوْمُنُ
بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

١٩٦

قسمتها بين لهم مصارفها ومستحقها تبرئة لرسوله، فقال:

﴿٦٠﴾ إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا يُنْبِئُهُ لحالهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئاً ولا يخفون على الناس بسبب حالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللکفار الذين يُتَّالَفُونَ بها ليسلما، أو لضعفة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يُدْفَعُ بها شره، وتصرف في الأَرْقَاء ليعتقوا بها، وللمدنيين في غير إسراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت نفقته. قَصُرَ صرف الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٦١﴾ ومن المنافقين من يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، فيقولون لئما شاهدوا حلمه ﷺ: إنه يسمع من كل أحد ويصدق، ولا يميز بين الحق والباطل، قل لهم - أيها الرسول -: إن الرسول لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون الصادقون ويرحمهم، فإن بعثته رحمة لمن آمن به، والذين يؤذونه ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجع.

من تَوَابِدَ الْآيَاتِ:

- الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة، فليتعامل العبد معهم بما يرضي مولاه، فتتحقق بهما النجاة. ● توزيع الزكاة موكل لاجتهاد ولاية الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال.
- إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسالاته كفر، يترتب عليه العقاب الشديد. ● ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويُعرض ترفعاً وإباءً عن سماع الشر والفساد.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ وَنَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
 تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْؤُا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿١٩٧﴾

﴿٦٢﴾ يُقَسِّمُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ - أيها المؤمنون - أنهم لم يقولوا شيئاً يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم، والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين حقاً.

﴿٦٣﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم بعملهم هذا معادون لله ورسوله، وأن من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار جهنم ماكتأ فيها أبداً؟ ذلك الهوان والذل الكبير.

﴿٦٤﴾ يخاف المنافقون أن ينزل الله على رسوله سورة تطلع المؤمنين على ما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل - أيها الرسول -: استمروا - أيها المنافقون - على سخريتكم وطعنكم في الدين، فالله مخرج ما تخافون بإزالة سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

﴿٦٥﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المنافقين عما قالوا من الطعن وسب المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولن: كنا في حديث نمزح فيه ولم تكن جادين، قل - أيها الرسول -: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

﴿٦٦﴾ لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة، فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد أن كنتم تضمرونه، إن نتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعذب فريقاً منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.

﴿٦٧﴾ المنافقون رجالاً ونساءً متفقون في أحوال النفاق، وهم على النقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، تركوا الله أن يطيعوه، فتركهم الله من توفيقه، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

﴿٦٨﴾ وعد الله المنافقين والكفار نار جهنم ماكتين فيها أبداً، هي كافيتهم عقاباً، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب مستمر.

● من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

- قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الإيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين، والتخوف من نزول سورة في القرآن تقض شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لا عبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.
- لا يقبل الهزل في الدين وأحكامه، ويعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفراً.
- النفاق: مرض عضال متأصل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم وإساکهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- الجزء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته.

في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا بنصيبهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم - أيها المنافقون - بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضتم في التكذيب بالحق والطعن في الرسول مثل خوضهم في التكذيب به والطعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين **بطلت** أعمالهم لنسأدها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

٧٦ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط: جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجلية، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

٧٧ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض وأعوانهم؛ لجمع الإيمان بينهم، يأمرون بالمعروف؛ وهو كل محبوب لله تعالى من وجوه طاعته كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر؛ وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله؛ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٧٦ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٧ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧٨ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٩

٧٦ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِهِ أَنْ يَدْخُلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا مَآكِنَ فِيهَا دَائِمًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَنْقُطُ نَعِيمُهُمْ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَدْخُلَهُمْ مَسَاكِنُ حَسَنَةً فِي جَنَّاتٍ إِقَامَةٍ، وَرِضْوَانُ يَحِلُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ.

٧٧ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إثبات الدنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والغدر بهم.
- إهلاك الأمم والأقوام الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.
- أهل الإيمان رجالاً ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التواذ والتحاب والتعاطف.
- رضا رب الأرض والسموات أكبر من نعيم الجنت؛ لأن السعادة الروحانية أفضل من الجسمانية.

﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بَقَاتِلِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَّةِ، **وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ**؛ فَهُمْ أَهْلُ لَذَلِكَ، وَمَقْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمْ.

﴿٧٦﴾ يحلف المنافقون بالله كاذبين: ما قالوا ما بلغك عنهم من السب لك والعيب لديك، ولقد قالوا ما بلغك عنهم مما يكفرهم، وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإيمان، ولقد همُّوا بما لم **يظفروا** به من الفتك بالنبي ﷺ، وما **أنكروا** شيئاً إلا شيئاً لا يُنكر، وهو أن الله تفضل عليهم بإغنائهم من الغنائم التي من بها على نبيه، فإن يتوبوا إلى الله من نفاقهم تكن توبتهم منه خيراً لهم من البقاء عليه، وإن يتولوا عن التوبة إلى الله يعذبهم عذاباً موجعاً في الدنيا بالقتل والأسر، ويعذبهم عذاباً موجعاً في الآخرة بالنار، وليس لهم ولي يتولاهم فينقذهم من العذاب، ولا ناصر يدفع عنهم العذاب.

﴿٧٥﴾ ومن المنافقين من عاهد الله قائلاً: لئن أعطانا الله من فضله لتصدقن على المحتاجين، ولنكونن من الصالحين الذين صلت أعمالهم.

﴿٧٥﴾ فلما أعطاهم الله سبحانه من فضله لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، بل منعوا أموالهم فلم يتصدقوا بشيء، وتولوا وهم معرضون عن الإيمان.

﴿٧٧﴾ **فَجْعَلْ عَاقِبَتَهُمْ** نفاقاً ثابتاً في قلوبهم إلى يوم القيامة؛ عقاباً لهم على إخلاصهم لعهد الله، وعلى كذبهم.

﴿٧٨﴾ ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يخفون من الكيد والمكر في مجالسهم، وأن الله سبحانه علام الغيوب؟ فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٧٨﴾ الذين **يعيبون** المتطوعين من المؤمنين ببذل الصدقات اليسيرة، الذين لا يجدون إلا شيئاً قليلاً هو حاصل ما يقدرون عليه، فيسخرّون منهم قائلين: ماذا تجدي صدقتهم؟ سخر الله منهم جزاء على سخريتهم بالمؤمنين، ولهم عذاب **موجع**.

﴿٧٩﴾ **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ**؛

- وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.
- المنافقون من شر الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.
- في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.
- في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يُبَايِعُونَ النَّاسَ وَمَا يَنْقُصُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَءِ اتُّنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿٨٠﴾ اطلب - أيها الرسول - المغفرة لهم، أو لا تطلبها لهم، فإن طلبتها سبعين مرة، فإنها على كثرتها لن توصل إلى مغفرة الله لهم؛ لأنهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يوفق للحق الخارجين عن شرعه عن عمد وقصد.

﴿٨١﴾ فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك **بقعودهم** عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرقل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفتقهنون ﴿٨٢﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٣﴾ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستعدنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ﴿٨٤﴾ ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴿٨٥﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كفرون ﴿٨٦﴾ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجهدوا مع رسول الله استعدنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين ﴿٨٧﴾

﴿٨٢﴾ فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في حياتهم الآخرة الباقية؛ جزاء ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والآثام في الدنيا.

﴿٨٣﴾ فإن أعداءك الله - أيها النبي - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المنافقون - معي في الجهاد في سبيل الله أبداً عقوبة لكم، وحذراً من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك، فاقعدوا وابقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان.

﴿٨٤﴾ ولا تصل - أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبداً، ولا

تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصلّى عليه ولا يُدعى له.

﴿٨٥﴾ ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم. ﴿٨٦﴾ وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب الغنى واليسار منهم، وقالوا: اتركنا نخلف مع أصحاب الأعداء كالضعفاء والزمنى.

﴿٨٧﴾ من قوايد الآيات:

- الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً.
- الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالباً إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يتمخض عنه من أحداث.
- التهاون بالطاعة إذا حضر وقتها سبب لعقوبة الله وتشبيطه للعبد عن فعلها وفضلها.
- في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين.

٨٧ رَضِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لَأَنْفُسِهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمُهَانَةَ حِينَ رَضُوا أَنْ يُتَخَلَّفُوا مَعَ أَصْحَابِ الْأَعْدَارِ، وَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ.

٨٨ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالنصر والغنائم، وحصول المنافع الآخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المهروب.

٨٩ هِيَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا مَا كَثُرَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَلْحَقُهُمْ فَنَاءٌ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ هُوَ الصَّالِحُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَلَاحٌ. ٩٠ وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ أَعْرَابِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ حَوْلِهَا يَعْتَذِرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِيَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْخُرُوجِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَخَلَّفَ قَوْمٌ آخَرُونَ لَمْ يَعْتَذِرُوا أَصْلًا عَنِ الْخُرُوجِ؛ لَعَدَمِ تَصَدِيقِهِمْ لِلنَّبِيِّ وَلَعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِوَعْدِ اللَّهِ، سِيئَالُ هَؤُلَاءِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ هَذَا عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ.

٩١ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالْمَرْضَى وَالْعَجِزَةِ وَالْعَمِيِّ وَالْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَهُ مِنَ الْمَالِ لِيَتَجَهَّزُوا بِهِ، لَيْسَ عَلَى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا إِثْمٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْخُرُوجِ؛ لِأَنَّ أَعْذَارَهُمْ قَائِمَةٌ، إِذَا أَخْلَصُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَيْسَ عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الْأَعْدَارِ طَرِيقٌ لِإِيْقَاعِ الْعِقَابِ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ الْمُحْسِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

٩٢ وَلَا إِثْمٌ كَذَلِكَ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْكَ الَّذِينَ إِذَا جَاؤُوكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَطْلُبُونَ مَا تَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ وَقُلْتَ لَهُمْ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ؛ أَدْبَرُوا عَنْكَ وَأَعْيَنَهُمْ تَسِيلَ مِنَ الدَّمَاعِ أَسْفًا عَلَى أَنْهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ أَوْ مِنْ عِنْدِكَ. ٩٣ لَمَّا بَيَّنَّ أَنْ لَا طَرِيقَ لِعُقُوبَةِ أَهْلِ الْأَعْدَارِ ذَكَرَ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ وَالْمُؤَاخَذَةَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الطَّرِيقُ بِالْعُقُوبَةِ وَالْمُؤَاخَذَةِ عَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْإِذْنَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهِ بِوُجُودِ مَا يَتَجَهَّزُونَ بِهِ، رَضُوا لِأَنْفُسِهِمُ الذِّلَّةَ وَالْهَوَانَ بَأَنَ يَبْقُوا مَعَ الْخَوَالِفِ فِي الْبُيُوتِ، وَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا تَتَأَثَّرُ بِمَوْعِظَةٍ، وَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا الْخَتَمِ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ لِيَتَخَارَوْهُ، وَمَا فِيهِ مَفْسَدَتُهُمْ لِيَتَجَنَّبُوهُ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْأَكْبَارِ:

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٨٧ لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَجَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٨٩ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٠ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩١ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمَاعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ٩٢ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣

● المجاهدون سيحصلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.

● الأصل أن المحسن إلى الناس تكريمًا منه لا يؤخذ إن وقع منه تقصير.

● أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سعيًا فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر - فإنه يُنَزَّلُ مَنَزِلَةً الْفَاعِلِ لَهُ.

● الإسلام دين عدل ومنطق؛ لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالنفس.